تفريغ محاضرة

# الطوفان ونجاة موسى عليه السلام

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٨ / ١ / ١٤٤٣ هـ

# من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

# عاشوراء .. والسنن الكونية

# الطوفان ونجاة موسى عليه السلام

## بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ..

في اليوم العاشر من محرم قبل آلاف السنين حصلت هذه الحادثة لموسى عليه السلام مع فرعون، وما إن يدخل شهر محرم ويبدأ الحديث عن عاشوراء إلا ويأتي دائمًا الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

في هذا اليوم بالذات بعد المفاوضات والحوار والأخذ والرد والآيات التي جاء بها موسى وبعد أن ألقى عصاه، ونزع يده فإذا هي بيضاء،

ومع كل هذه الآيات نرى جبروت فرعون الذي قابل به موسى، حتى وصلنا إلى العاشر من محرم قبل آلاف السنوات فإذا بموسى - عليه السلام - في هذه اللحظة الأخيرة يقف هارباً مع قومه إلى أن وصلوا الى البحر، وإذا بفرعون وجنوده بِعدِّهم وعِتادهم وبكل ما معهم من أسلحة متطورة في ذلك الوقت، فلم تكُن الحضارة الفرعونية أي حضارة بل نحن حتى الآن لا زلنا نكتشف آثارهم ومازال علماء الآثار يقولون لعلَّ الفراعنة وصلوا إلى مخترعات لم نعرفها نحن حتى الآن،

فهذه الحضارة التي كان يُجابهها موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل معهم وهم أناس عُزّل ليس معهم أي شيء بل ولم يكونوا سوى خدم عند هؤلاء الجبابرة، فكل الموازين الأرضية كانت تقول إن موسى - عليه السلام - لابد أن ينهزم لأنه فرَّ هارباً إلى لا شيء،

هارباً في الصحراء ومن الذي لحق به؟

لحق به فرعون، وتخيلوا فرعون بجنوده بطائراته في ذلك الوقت بعرباته ومدفعيته في ذلك الوقت، أي كانت هي أسلحتهم فهم الآن يأتون إلى موسى - عليه السلام - وموسى يقف مع بني إسرائيل هؤلاء المئات عند شط البحر ينتظرون اللحظة التي ينقض فيها فرعون عليهم، وفي هذه اللحظة زُلزِل بنو إسرائيل وشكُّوا للحظة أن الدين انتهى وأنهم لا يمكن أن تقوم لهم قائمة، فكل المعطيات الأرضية كانت تقول أنهم لا يستطيعون الخوض والسباحة في البحر ولو خاضوا فيه لغرقوا،

فلما تراءى الطرفان، طرف فرعون من جهة وطرف موسى وبني إسرائيل من جهة، جيش فرعون وجيش موسى، ظنَّ أصحاب موسى أنها نهايتهم، ولا مفرَّ لهم الآن،

ولكن موسى - عليه السلام - لأنه يعرف ربه، وهذا الفرق دائماً بين من يعرف ربه ومن يعرف سنن الله عز وجل في الكون وبين من لا يعرف ربه، فالذين تأخذهم المعطيات الأرضية وتأخذهم موازين الدنيا تستهلكم الدنيا بسرعة، وييأسون بسرعة ويقنطون ويظنون أن سنة أو سنتين من انتشار الباطل كفيلة بالنهاية،

أما موسى - عليه السلام - **قال بنبرة الواثق أن الله معه وسيهديه ولن يتركهم**، فهم قد سلكوا هذا الطريق بوحيٍ من الله - عز وجل - وهو الذي أمره بأن يسري ببني إسرائيل، فمستحيل أن يتخلى الله عنهم ويتركهم، قال تعالى: **(قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)**(الشعراء:٦٢).

ومباشرةً جاء الأمر السماوي لأن هذه اللحظات الدقيقة والدقائق المعدودة كانت امتحانا لموسى وامتحانا لبني إسرائيل، يمتحن الله - عز وجل - في تلك اللحظة صدق إيمانهم، فأوحى الله - عز وجل - في تلك اللحظة لموسى - عليه السلام- أن يضرب بعصاه البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطرد العظيم، معجزة لم تخطر على قلب موسى - عليه السلام - ولم تحدث من قبل فكيف ينفلق البحر ويقف هذا السائل كأنه جبلين كأنه شلالات والأرض ممهدة بينهما لا يخاف المرء فيها دركًا،

أي لا يخاف أن يغرق، ولا يخاف أن تكون طينية فينزلق فيها، وفعلًا خاض فيها موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل ونجَّاهم الله - عز وجل - وخاض فيها فرعون ظنًّا بكبريائه وجبروته أن الأرض ستبقى ممهدة له، فإذا الله - عز وجل - يأمر البحر أن ينفلق على فرعون وجنوده فلم يبقَ منهم أحد، فهذا الماء الذي تشدق به فرعون وقال هذه الأنهار تجري من تحتي، أجراها الله - عز وجل - من فوقه وكانت سببًا في موته، ونجّى الله - عز وجل - موسى - عليه السلام - ومن معه في هذه الحادثة.

**قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟»، قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم»، فصامه، وأمر بصيامه. رواه البخاري.**

**وفي العام الذي يليه، قال - عليه الصلاة والسلام - صوموا يومًا قبله ويومًا بعده**، فأصبحت السنّة هي أن نصوم يوم عاشوراء ونصوم يومًا قبله أو يومًا بعده، ويجوز صيامه منفردًا لمن يستطيع أو من كان مريضًا، والأولى صيامه والإكثار من الصيام في شهر الله المحرم.

**الشاهد من هذه القصة، هو أن هذه سنّة كونية من سنن الله - عز وجل - في نصرة أهل الحق وإزهاق أهل الباطل عبر الزمن،**

من عهد آدم - عليه السلام - وقوم نوح وقوم لوط وقوم عاد وقوم ثمود وقوم شعيب وكفار قريش وإلى قيام الساعة، وهذه سنة الله - عز وجل - ولا تجد لسنة الله تبديلا ولا تجد لسنة الله تحويلا، فلا يمكن أن تتبدل سنة الله - عز وجل - ولا يمكن أن تتحول أيضًا، ولذلك يجب أن نقف عندها قليلًا ونستقرئ فيها أحداث الكون التي تُجري هذه السّنن،

ولذا سنتحدث اليوم عن بعض هذه السنن.

## 1. الحكم بين العباد بالحكمة والعدل.

قال تعالى: **(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ٣٥)ـ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)**(القلم). فالله - عز وجل - يحكم بين عباده بالحكمة والعدل ولا يساوي بين مختلفين فهؤلاء قوم أجرموا وعصوا وأشركوا فلا يمكن أن يجعلهم الله - عز وجل - هم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء.

## ٢. أن الله - عز وجل - لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وهذه قاعدة ربانية وسنة كونية أن الله - عز وجل - لا يمكن أن يغير ما في أي مجتمع ولا بيت ولا محيط من محيطات الدنيا حتى يتغير هؤلاء الناس وتكون الخطوة الأولى من قِبَل أنفسهم.

## ٣. أن الله - عز وجل - يُرِي الناس جزاء أعمالهم.

قال تعالى: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الروم: ٤١)**. إذًا، الله - عز وجل - قد يكتب الفساد في الأرض ويراه الناس عيانًا بيانًا غلاء الأسعار وزوال المحاصيل وانتشار الأوبئة، فيريهم الله - عز وجل - هذا الفساد في الأرض ليذيقهم بعض من الذي عملوه ومن الذي كسبوه بأيديهم، وهذا من سنن الله - عز وجل - أن يُرِي الناس جزاء ما عملوا.

## ٤. أن الله - عز وجل - إذا أراد لإنسان خيرًا فلا رادَّ له.

يقول تعالى: **(وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** (يونس:١٠٧).

فاعلم أن هذه هي القاعدة، فإذا مسّك الضر لا تلتفت يمنةً ويسرة، ولا تراجع قائمة الأرقام التي لديك من الواسطات، بل مباشرةً اذهب إلى الباب الأول إلى الله - عز وجل -، لأن الله - عز وجل - إذا أراد لإنسان خيرًا فلا رادَّ له.

## ٥. أن الكفر بأنعم الله يؤدي إلى الجوع والخوف.

يخبرنا الله تعالى في كتابه عن سُنّة أخرى يذكرها فيمن سبق ويضرب لنا فيها المثل، قال تعالى: **(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)**(النحل:١١٢).

هذه الآية اختصرت كثيرا من كتب علم الاجتماع والتاريخ وغيرها عن هذه القرية التي كان أهلها يعيشون في رغد من العيش، ويفد إليها الناس من أرجاء الدنيا ليعملوا فيها ويجدوا فيها بركة في أموالهم، فيشترون بالمال القليل الشيء الكثير، ويستطيعون ادخاره، فكانت قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، فبدأ التغيير وكفرت بأنعم الله - عز وجل - بعد أن أعطاهم تلك النعم يرفلون بها ليل نهار، فلما كفروا بهذه النعمة ومنعوا حق الفقير، أذاقهم الله - عز وجل - لباس الجوع والخوف، فضيقت عليهم أرزاقهم، وفقدوا الأمان.

## ٦. يداول الله الأيام بين الناس.

قال تعالى:**( إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)**(آل عمران:١٤٠).

فالحياة لم تكُن يومًا على خط واحد من السعادة والهناء لأي أحد، لا لأنبيائه ولا لرسله ولا لعباده المؤمنين فلابد من هذه المنحنيات التي تحصل ليختبرنا الله بالسراء هل نشكر النعمة أم نكفرها وهل نؤدي حقوق الله - تعالى - فيها أم لا، ويختبرنا بالضراء هل نسخط أم نصبر وهل نقوم بحق الله - تعالى - من الرضا بالقضاء والقدر واللجوء إليه أم نسخط، وهكذا يقلّب الله عباده بين هاتين، فيقول إن يمسسكم قرح وهو الجرح والألم فقد مسَّ الكفار هذا القرح وتلك الأيام نداولها بين الناس.

## ٧. لا يمكن أن يفلت الإنسان بظلمه.

يقول الله - عز وجل -:**(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا..)**(العنكبوت:٤٠).

فلا يمكن أن يُفلِت الإنسان بظلمه وجبروته، بل قال العلماء إن ذنبين معجلة عقوبتهما في الدنيا هما البغي والعقوق، فالعاق لوالديه معجّلة له عقوبته في الدنيا وكذلك البغي وهو الظلم والطغيان على حقوق الناس، فهذان الذّنبان عقوبتهما معجلّة في الدنيا قبل الآخرة، وفيها شفاء لصدور المؤمنين.

## ٨. التمكين للمؤمنين.

ومن سنن الله - عز وجل - في هذا الكون أيضًا أن الله في آخر الأمر يُمكِّن لعباده المؤمنين وعد الله، لاحظوا هذه الكلمة، وعد الله حق لا يكذب، قال تعالى:**(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور:٥٥)**. فيصدق الله وعده لعباده الذين آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فإذا حققوا هذه الصفات حقق الله لهم الوعد، فصلاح الإنسان لا يدور عليه وحده فقط، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نحن ننتقل لدائرة المصلحين الذين يستحقون الاستخلاف في الأرض والتمكين لهم.

## ٨. الإصلاح يدفع العقوبات العامة.

وهذه من السنن التي بدأت بها قصة موسى - عليه السلام - والتي نريد أن نتحدث عنها اليوم، في قوله تعالى:**( وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)**(هود:١١٧). ونلاحظ هنا اللفظ مصلحون وليس صالحون، لأن صلاح الإنسان الشخصي لا تندفع به العقوبات العامة،

العذاب الذي يعم القرى والأراضي عذاب عام، وما يدفع هذا العذاب هو الإصلاح، أن نكون مُصلحين، وهذه كانت سنّة الله في كل أنبيائه، رأيناها في موسى - عليه السلام - وهو يواجه أكبر طاغية جبَّارة في ذلك الزمن،

فنحن إلى اليوم نرى أهراماتها والمواكب التي كانت في حضارتهم وشكلها المهيب، فتخيلوا في ذلك العصر بتلك الألوف المؤلَّفة من الناس الذين استعبدوهم، كيف كانت حياتهم في الحقيقة إذا كنا إلى الآن نرى المجوهرات واللباس والآنية التي تُستخرج من قبورهم بعد آلاف السنين من بطون الأرض التي عفا عليها الزمان، كيف كانت حضارتهم في ذلك الزمن الذي عاش فيه موسى - عليه السلام - بصبره مع بني إسرائيل، لم يكُن يملك من متاع الدنيا شيئا، بل بالعكس كان لدى فرعون الزينة والأموال، ولم يقُل ربِّ أعطيتهم كل شيء ونحن لا نملك شيئا، بل أمَرَ بالمعروف ونهى عن المنكر في وجه هذا الطاغية وبدأت رحلته في إصلاح الواقع الفاسد في مصر ثم يُكتَبُ له النجاة الأعجوبة، التي نصوم شكرًا لله عليها في العاشر من محرم كل عام.

والإصلاح هو هدف جميع الأنبياء، فعندما نقرأ في سورة هود نمر على قصص الأنبياء من نوح - عليه السلام - إلى شعيب - عليه السلام، كل واحد منهم كان يهدف للإصلاح فلا يكون صالحًا بنفسه فقط، فنوح - عليه السلام - لم يكتفِ ببيته فقط بل ظلَّ يدعو قومًا قلوبهم قاسية كالصخر ٩٩٩ عامًا!

وقد كان بإمكانه الاكتفاء بنفسه فلا يُتعِب نفسه معهم ويستهلك قوته لأجلهم وهم لا يقابلونه إلا بالكفر والسخرية، وكذلك الأقوام من بعده فكان شعيب - عليه السلام - يقول لهم ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، قال تعالى:**(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)**(هود:٨٨).

فكان الأنبياء يعلنون أن الدنيا ليست هدفهم ولا يسألون مالًا فأجرهم على الله - عز وجل - فهم فقط يريدون إصلاح الواقع الفاسد، لأنهم إن لم يُصلحوه ستنزل العقوبة، ولذلك قال الله - عز وجل - حينما تحدث عن الأرض وخلقها والسماوات وبنائها وما جعل في الأرض من جبال وزينتها:( **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ...)(الأعراف:٥٦).**

فالله عز وجل جعل لنا هذه الأرض فيها من الخيرات ما يكفينا ويكفي الأجيال القادمة إلى قيام الساعة، وهو الذي خلقنا وهو الذي يرزقنا، وجعل في هذه الأرض خاصية الاستبدال والحياة وإخراج الحي من الميت والميت من الحي، فلا يخاف الإنسان على رزقه، ولكن حينما أفسد الإنسان في الأرض وأعلن الطغيان والمعصية والجبروت بدأت هذه الأرض تفسد، قال تعالى:( **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ...)(الأعراف:٥٦).**

وكذلك قال الله - تعالى - عن بني إسرائيل الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة:(**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)(الأعراف:١٧٠).** وهنا أيضًا نلاحظ استخدام كلمة المصلحين وليس الصالحين، ولذلك الدكتور ابراهيم الخليفي في دوراته عن التربية: لا تربي ابنك ليكون صالحاً الآن نحن في زمن لا ينفع معه أن يكون ابنك صالحًا، فصُدم الجمهور الذي كان يحضر الدورة، قال: لابد أن تربي ابنك ليكون مُصلحاً، ولهذا دائمًا نكرِّر أن من المهم أن لا يكون الإنسان في خط الدفاع فيكون إيمانه بينه وبين النار شعرة،

فلو تكاسل في يوم وجد نفسه بالنار، بل يجب أن يكون في خط الهجوم فيكون داعية إلى الله - عز وجل -، ويكون من الذين يُصلِحون لا فقط من الصالحين في أنفسهم، ولذلك بعد أن أنهى الله - عز وجل- كل قصص الأنبياء في سورة هود التي قال عنها الرسول - عليه الصلاة والسلام -: **"شيبتني هود واخواتها" رواه الطبراني، وصححه الألباني.** وهي من السور التي يجب تُقرَأ بعناية قصة قصة، فلكي نفهم هذه الآية يجب أن نقرأ السورة كاملة ونعيش مع قدوم نوح - عليه السلام - وهو يجادلهم ثم كيف أخذهم الطوفان،

ومع موسى - عليه السلام - وكيف نجّاه الله - عز وجل - هو ومن معه، ثم مع هود - عليه السلام - كيف حاجّ قومه حتى قال الله - عز وجل-:( **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**)(هود:٥٨). ثم نبي الله شعيب - عليه السلام - قال الله تعالى:(**وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**)(هود:٩٤).

فحين نقرأها قصة قصة ونستشعر أن بين وقوع هذه القصص مئات السنين وآلاف القرون ووقعت في حضارات مختلفة، نعلم أن الله - عز وجل - يعطينا ملخصات الدروس لنفهم القرآن، فالقرآن ما أُنزِل ليُتلى ويُقرأ فقط بل حتى يُفهَم،

فقال الله - تعالى - في نهاية السورة:( **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**)(هود:١١٦).

فالله - عز وجل - يقول لو كان في هذه القرون السابقة التي حلّت عليهم العقوبة أولو بقية ينهون عن الفساد، لتغيَّرت الأحداث وتغيّرت الموازين، إلا قليلًا ممن أنجينا منهم، وهذا ما نراه في كل قصة يأتي سطر أنجينا ويأتي الله باسم النبي، وأنجينا هودًا والذين آمنوا معه، وهكذا قصص الأنبياء، فوجود الصالحين لا تُستَدفع به العقوبة وإنما المصلحين الذين يقومون بدور أكثر إيجابية.

ونلاحظ أن فرعون أراد أن يتمسح بتلك المهمة، مهمة الأنبياء، ونلاحظ هنا تلبيس الحق بالباطل حيث استخف بقومه فأطاعوه، فيقول فرعون للملأ المجتمعين حوله ذروني أقتل موسى ومن معه وليدعُ ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد،

فمن الذي يظهر في الأرض الفساد؟

فهنا نرى كيف تنعكس الآية ويصبح الإنسان الذي يأمر بالحق ويقول لهم ربي رب السماوات والأرض ورب المشارق والمغارب ربي وربكم ورب آبائكم الأولين،

فيأتيهم موسى - عليه السلام - بحقائق واضحة وإذا بفرعون يرد عليه رد الأكابر أن رسولكم الذي أُرسِل إليكم مجنون، لئن لم تنته لنسجننك،

هكذا يرد عليه بلا ردود منطقية للآيات الواضحة التي جاء بها موسى - عليه السلام - وفوق هذا كله يرمي موسى - عليه السلام - بالفساد وأنه يريد أن يفسد في الأرض،

**ولذلك هؤلاء هذه هي طبيعتهم عبر الزمن، ففي أول وجه نقرأ في سورة البقرة عن هؤلاء المنافقين** قوله تعالى:**(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)(البقرة:١١).**

فتراهم ينفون عن أنفسهم الإفساد، فيقولون نحن نعمل لأجل الأجيال ولكي نُسْعِد الناس فلا يمكن للمفسد أن يعترف بأنه مفسد، فيقول الله تعالى:**(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ)(البقرة:١٢).**

ولذلك قد يظُن إنسان أن المطلوب فقط صلاح الدين وهذا غير حقيقي وقد يظن الإنسان أن كل ما جاء به الأنبياء هو لصلاح الدين وصلاح العقيدة فقط، وهذا لم يأتِ به الأنبياء فقط بل أتى الأنبياء بالاثنين معًا، صلاح الدين وصلاح الدنيا،

ونستقرئ هذا من دعوة النبي - عليه الصلاة والسلام -: **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ.**

ولذلك شعيب - عليه السلام - جاء بإصلاح اقتصادي، قال تعالى:**(وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)(هود:٨٥).**

فكان يتكلم عن معاملات اقتصادية في البيع والربا وبخس الناس فيها، فكان يقول لهم لا تقوموا بهذا الذنب، وكذلك لوط - عليه السلام - جاء لينهى قومه عن ذنب وكبيرة من الكبائر الاجتماعية، وهي قضية الشذوذ،

فكل الأنبياء كانوا يأتون لإصلاح الدين والدنيا، فإصلاح الدين جزمًا يكون معه إصلاح الدنيا، والبعض يعتقد أنك حين تُصلِح دينك سينقلب المجتمع إلى مجموعة من الناس الزاهدين في مساجدهم منغلقين على أنفسهم فيهم تشدد وتطرّف وإرهاب، يعتقدون أن هذه هي نتيجة صلاح الدين الحتمية،

وهذا غير صحيح، فعندما صلح الدين في أفضل العصور من قبلنا من عهد عمر بن الخطاب وعهد النبي - عليه الصلاة والسلام - وحينما فتحت الفتوحات في عهد عمر إلى القرن الثالث، سطرنا فيها أعظم حضارة عرفها العالم إلى يومنا هذا،

في لندن يوجد معرض سنوي عن حضارة المسلمين واكتشافات المسلمين ومئة عالم ومؤلفات تُكتَب في اكتشافاتهم، فلما صلح الدين صلحت الدنيا ولكن العكس غير صحيح، فلو أصلحنا الدنيا من غير أن نصلح الدين فلا ينصلح لنا دين ولا تنصلح لنا الدنيا،

وسأعطيكم مثالا صادما، عندما نتكلم مثلًا عن حد من الحدود مثل حد الرجم، فتخيل لو مثلًا ابنك المراهق يخرج من صلاة الجمعة فيرى حد الرجم يقام على رجل عمره ٤٠ سنة محصن متزوج خان زوجته وقام بالزنا،

فلو رأى الخارجين من الصلاة الحد يُقام أمام أعينهم ورأوا العقوبة فهي ليست رميا بالرصاص ولا شنقا أو مجرد سجن، فالرجم مؤلم كل ذرة من ذراته تؤلمه، فماذا سيدور في عقل الموجودين بعد رؤيتهم لهذا المنظر؟

لن يستسهلوا أن يتواعدوا في شقة أو استراحة، فعندما يتربى المجتمع على أن هذه عقوبة هذا الذنب ولا يُمكن أن تتم مسامحته لا يستسهلون أبدًا، قال تعالى:**(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)(النور:٢).**

فالحدود يجب أن تكون أمام المؤمنين لا في الخفاء، ولو رأينا السارق ويده مقطوعة بحد السرقة لكان درسًا لغيره، فالحدود هي صلاح الدين، وإصلاح الدين أيضًا يكون في تنمية الرقابة الذاتية في الأجيال، فإذا صلح الدين صلحت الدنيا،

ولذلك نرى أن حضارة المسلمين انحطت عندما كانوا أغنى الناس ولكن انتشر بينهم الجهل والفقر والظلم والبغي والتعدي على الحقوق، فلما انتشر هذا كله ما بين جهل وانتشار للبدع من تبرّك بالموتى والقبور والأضرحة، لأن انتشار الجهل يجعل الناس يبحثون عن حل سحري فيبتعدون عن دينهم شيئًا فشيئًا،

وهكذا لما انتشرت هذه الأمور نزلنا من قمة الحضارة ونحن أغنى ما نكون، فالقضية كما قالها عمر - رضي الله عنه - **نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله - عز وجل -** ، فإذا أصلحنا الدنيا وصار عندنا أحسن المستشفيات وأعلى المباني والأبراج وأحسن الفنادق، ولكن فقدنا الإنسان وأصبح لدينا مجموعة مجرمين انتهازيين لا يطمحون إلا إلى كسب المال بأي طريقة، يأكل القوي منهم الضعيف،

فهنا تكون الدنيا صلحت شكليًا ولكن ماذا عن الناس والمجتمع، ولذلك نرى الدنيا صلحت للفراعنة ثم قسمهم الله - عز وجل - في أعظم ما تكون حضارتهم لأن الاستعلاء الدنيوي والحياتي لا شيء في عرف السنن الكونية، ولذلك تقع مسؤولية الإصلاح على كل واحد منا، فدعونا نتحدث أن أنواع الإصلاح:

## ١. إصلاح العقائد.

وهنا نتحدث عن لا إله إلا الله موجودة في صدرك لا يثلمها ولا يجرحها جرح، فكما ذكرنا في الدرس السابق أن آخر ناس يُخرجهم الله - عز وجل - من النار يُخرجهم بلا إله إلا الله، فقد يكونون فسقوا ولم يُصلّوا ولم يعملوا أي ركن من أركان الإسلام

ولكن لا إله إلا الله تنقذهم من النار، فهل تعلمون أننا نعيش في واقع خطر جدًا، الحرب على لا إله إلا الله، أناس من بيننا مسلمون صالحون ممكن يصلون ويصومون ولا إله إلا الله عندهم مجروحة لمجرد أنهم آمنوا بخرافات كأن يقف أحدهم وقفة الشجرة ويجعل الشاكرات السبعة كلها تمشي في خط واحد ليأخذ طاقة الأرض مع طاقة السماء،

وكأنه الآن أصبح فيه نوع من التطهير الجواني أو الروحاني إلى أن يصبح هذا الإنسان يظن أن هناك أحدا في الكون غير الله - عز وجل - يمكن أن يضره أو ينفعه، ولا يغركم أن تحوي الروشتة على كلام مثل: خذ ورد سورة المجادلة، أو خذ ورد سورة الرحمن وكررها واشبكها مع تردد كذا، **فكل هذه ممارسات شركية مخيفة،** وإذا لم ينتبه الإنسان ما الذي يحصل في عقيدته هنا، سيفقد بصيرته، وسيعود الشرك إلى جزيرة العرب والشيطان آيس أن يعبده المصلون،

فهم لن يعبدوه جهارًا عيانًا، لكن سيأتي بواسطة تلك الأنواع من التحريش التي يأتي بها إلى الناس، فهذه الأمور التي تبدو بسيطة تسبب ثلم العقيدة ويظن الإنسان أنه لا يحتاج للدعاء فبمجرد أن تضيق به الدنيا يذهب في وقت الإشراق ويعمل وضعية معينة ويراقب الشمس فيتنشط، ولا يظن أنه يحتاج شيئا آخر، فإصلاح العقائد لا يعني الشرك القديم كعبادة القبور وغيرها فقط، بل الآن الشركية تأخذ صورا أخرى، لاحظ على لا إله إلا الله وانتبه لها على نفسك ومن حولك.

## ٢. إصلاح القلوب.

قال الله - عز وجل -:**(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا(٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(١٠)(الشمس:٧-١٠)**،

فما الذي يصلح؟ قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: **"ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " رواه البخاري.**

هذا القلب يجب أن يُحمَى من البغي ومن الحسد والفسق والمجون القلبي، كأنك تظن أن أحدا غير الله - عز وجل - ممكن أن يدبر أمرك، ولذلك عندما نقول الكفر أنواع، كفر أكبر وكفر أصغر، والشرك أنواع، شرك أكبر وشرك أصغر، فالآن مع الأسف نرى هذه الأمور حاضرة في واقعنا ونبدأ نميّزها فهذه تندرج تحت الكفر الأصغر وهذه تندرج تحت الشرك الأصغر،

ولذلك من المهم تطهير النفس والقلب من الخبائث، وألا يكون القلب مثل الإسفنجة التي تشرب كل ما يطرح عليها، فكلما انتشر موضوع جديد وتحدث عنه الناس تشرّبه القلب وأثّر فيه، وهذا ينطبق على العقل أيضًا كما سنتحدث الآن عن إصلاح العقول.

## ٣. إصلاح العقول.

العقل كالقلب يجب أن لا يكون مثل الإسفنجة التي تشرب كل ما يطرح عليها، وكلما تبنّى الناس رأيًا يتبناه معهم دون تفكير وتحكيم للعقل،

ونحن في زمن انتشار المعلومة فيه نعمة وفيه نقمة، نعمة لأن الشيء أصبح بسيطًا ويمكننا الوصول للمعلومة بضغطة زر،

ومخيف لأن المعلومة التي تصل إلينا لا نعرف من أين جاءت ولا نعرف صحّتها، فعندما نشاهد مقطعا مرئيا ونتابع الحدث أمام أعيننا نراه واضحًا لا مجال للكذب فيه!

ثم نتلقّى لاحقًا مقطعا آخر يكون قد حدث قبل أو بعد المقطع الذي رأيناه ونكتشف أن المقطع كان ناقصًا فتتغيّر نظرتنا للموضوع، فكيف نبني آراءنا على مقاطع مُجزّأة؟

ولهذا من المهم جدًا أن نصلح منهجية التفكير لدينا ومنهجية نقل المعلومات سواء فيما نقرأ أو فيما نرى، ومن إصلاح العقل أيضًا أن نحافظ عليه من السواد المنتشر فنختار من نتابع،

فلو سألك أحدهم كم سنة لك منذ فتحت حساب في السناب شات؟ ماذا استفدت منه خلال هذه السنوات؟ ومالذي فعله السناب في قلبك؟ وفي حياتك؟ وفي طريقة تفكيرك؟ جاوب نفسك بكل صراحة! هل جعلك تشعر بعدم الرضا؟ بالتشوّق للدنيا؟ قد لا تكون إنسانًا ماديًا ولكن طبيعة الإنسان أنه يشتهي الأشياء، وهل جعلك السناب أكثر عمقًا أم أكثر سطحية؟ عندما تجلس في المجلس، هل تتحدث عن المشاهير؟ أم عن قضايا مهمة مثل تربية الأطفال؟ أم تتحدث عن آخر حدث انتشر ويتحدث الناس عنه؟

فعندما نتحدث عن إصلاح القلب وإصلاح العقل فنحن نتحدث عن إصلاح المحتوى الذي يدخل إليهما، فعندما يتعوّد الجيل على برامج مثل تيك توك، الذي كله متعة وغناء ورقص، ويدمنون عليه، قد تقولون أن ما فيه هو ترفيه مباح،

ولكن ماذا ننتظر من جيل أقصى أمانيه أن يرقص! فترى الشاب يرقص بشماغه والفتاة ترقص وتغطي وجهها أو حتى لا تغطيه، فماذا ننتظر من جيل هذه كل اهتماماته وأن يصبح مشهورا؟ وهذه مهمتنا الذاتية على أنفسنا قبل أن نتكلم عن غيرنا، أن نصلح المحتوى الذي نشاهده، وأن نراجع أنفسنا، فمتى كانت آخر مرة راجعنا فيها مفهوم العفة؟ وهل نحقق مفهوم العين العفيفة الغضة أم لا؟ وكيف أخلاقنا؟ وبالأمس سألتني فتاة تلبس الخمار وتغطي وجهها، ماهو الحد الأفضل هل الخمار أم عباءة الرأس؟ ماهو الأولى الأصح وماهو الأفضل؟

أُخبِركم صدقًا لم يسألني أحد هذا السؤال منذ زمن طويل! فالناس تبحث عمّا هو أسهل وتتنازل وتنشغل بالجدل، لكن من يسأل عن الأفضل والأستر؟ والحجاب عبودية اختصت بها المرأة عن الرجل ومن المفترض أن تتفاخر بها، فلو كانت نسوية بحق لتفاخرت بعبادة اختص الله فيها المرأة عن الرجل، فالمرأة هي موطن الجمال ولأن هذا الجمال غير مستباح لكل الناس، فيجب أن نحرص على أن نكون أكثر سترًا وحشمة وعفة، وهذه الحشمة ليست مجرد قطعة قماش، فلو صَدَقَ الداخل صدَقَ الظاهر، ولدينا في الإسلام ارتباط وثيق بين صلاح القلب وصلاح العمل،

فلا نؤمن أن الإنسان ممكن أن يكون قلبه طيّبا ولا يكذب وأخلاقه عالية فيصح أن لا يُصلّي أو لا تتحجب الفتاة، فلا يوجد أحد يعمل في شركة ولا يذهب للدوام وحين يتصلون به يقول بأنه يحب الشركة وولاؤه لها وهو يعمل لأجلها فلا يصح لهم تقييم حضوره بأنه غائب فلديه قوانينه الخاصة! هل يوجد مدير يقبل بهذا؟

وقد يكون هذا إنسانا صادقا في حبّه ولكن المدير يحتاج إلى فريق عمل يجتمع معه ويعمل لا إلى إنسان متسيِّب، وهذا مثال دنيوي فكيف بعلاقة العبد مع ربه؟

لا يوجد مجال للمقارنة أصلًا، ولهذا يجب أن نُصلِح منظومة الأخلاق، فلا يصِح أن تكبر الفتاة وهي ترى أمها تلبس العباءات الملونة والمفتوحة، فمن قال أن هذا حجاب؟
شروط الحجاب سبعة منها ألا يكون زينة في نفسه وأن يكون ساترًا وألَّا يكون شفافًا وألَّا يكون ضيِّقًا، والآن أصبح زينة في نفسه وهناك تجارة خاصة لهذا النوع من الزينة، ولذا نحتاج أن نُصلِح منظومة الأخلاق وننشر العفّة والفضيلة، وقد تتساءل لماذا نُركِّز عليها؟

إذا كان لديكم أطفال في عمر الأربع أو الخمس سنوات فما يحصل لهم الآن في الإعلام جرائم، اجلسوا معهم وشاهدوا البرامج التي هم يختارونها وانظروا ماذا يستهويهم، لن تجدوا هايدي ولا حتى توم وجيري فهذه البرامج ليست مثيرة بالنسبة لهم!
لا يستهويهم سوى البرامج المؤلمة المنحلَّة أخلاقيًا وتربويًا وكلها عبارة عن تحديّات ومغامرات وتمرّد وعناد!
فحينما يشاهد الطفل في عمر السنتين والثلاث يوميات طفل مشاكس أو طفلة مشاكسة طوال الوقت، فماذا نتوقع منهم؟ وحتى لو اخترت من إعدادات اليوتيوب أن طفلك عمره أربعة إلى ستة سنوات فستظهر له أفلام منحلّة وإباحية تخرج لهم أنها مثل الكراتين!
فلو تابعت مع طفلك سترى أن الفضيلة تُنحَر! وحين تتحدث معهم عن الشذوذ سترى الطفل يدافع أن هذا الطفل لا يرى نفسه ولدًا ويريد أن يصبح فتاة، وسيصبح النقاش عاطفيا لأنه لا توجد ثوابت موجودة من الأساس أن هذا الأمر حرام ولا يجوز، وهذا انتكاسة للفطرة! المرأة مرأة والرجل رجل، لنا أدوار مختلفة في خلق الله - عز وجل - الذي خلقنا بها.

## ٤. إصلاح الدنيا.

<u>على كل إنسان منا أن يُصلِح أيًّا كان موقعه</u>، فإن كنتَ معلمًا في مدرسة يجب ألا تكتفي بإنجاز نصاب الحصص فقط بل أن تُبدِع في عملك، ويكون وجودك مختلفا عمّن قبلك فتكون علامة فارقة، وإن كنتَ طبيبًا فعليكَ أيضًا أن تكون علامة فارقة، فيرى الناس كيف يؤدي صلاح الدين إلى صلاح الدنيا فهؤلاء يتعبّدون الله بالإتقان والإحسان، فنحن أهل الإحسان ونحن أهل الإتقان، فإن لم يكُن المسلمين أهل الإتقان فمن يكون؟

ولذلك من العار أن يُوصَف المسلمين بأنهم الأكثر تسيّبًا وتلاعبًا وأكثر من لا يحافظ على الوقت ولا يلتزم بالمواعيد، هذا عار لأنهم لم يعرفوا حقيقة الإسلام، فبعض الناس يقطعون الوقت تقطيعا وهم يعلمون أن الله - عز وجل - سيسألهم عن كل دقيقة من هذه الدقائق،

فالإصلاح الدنيوي مهم جدًا وجزء من المنظومة التي نعيش فيها أن نُصلِح في أي مكان نكون فيه، فلو أصلحت الأم في دورها في البيت لتغير الواقع تغيّرا كبيرًا، فالأم ليست عسكر أمان متى ستذهب ومتى ستعود وماذا أكلت وماذا لبست!

الأم مدرسة، إذا أعددتها أعددتَ شعبًا! فالنبي - عليه الصلاة والسلام - قال قبل مئات السنين: **"المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" رواه البخاري**. فلا يصح أن تقول الأم أن هذه رغبة أبنائها ولا دخل لها بهم، فهي المسؤولة عن هذه الرعية حتى يكبروا ويشقوا طرقهم بأنفسهم، فنحن مسؤولون عن أبنائنا بأن نوجههم في الحياة ونريهم الصحيح والفاسد، وهذا من تمام الأمانة التي نقوم بها، وتعجبني جدًا الشخصيات التي تبحث عن مصادر الإصلاح سواء في دائرتها أو حتى في دوائر أخرى هي تؤمن بأهميّتها.

عندما كنت في الثانوية، كانت لدينا معلمّة رياضيات من مصر، وزرناها مرة في بيتها وبصراحة لم يكُن بيتًا فهو غير مفروش بسجاد ولا سيراميك وقطع الأثاث قليلة، فكان يبدو أنها ستنتقل لبيت آخر قريبًا ولهذا البيت يبدو بهذا الشكل، فكنّا متفاجئين فكيف تعيش هي وزوجها وابنها في هذا المكان؟ غرفتين وصالة؟ فمهما حاولنا التفكير بأنهم يعيشون هنا لم نستطِع التصديق!

فحين رأت ذلك في أعيُنِنا قالت: حقولكم شيء، هذا ليس بيتي فنحن لا نملك بيتًا هنا، لي سنة ونصف ونحن نذهب ونعود من مصر، فبيتي الأساسي في مصر، ونحن لا نحب أن ندفع أموالنا لشراء أشياء سنتركها هنا، فنقوم بتحويل الأموال لمصر مباشرة فهناك بقية أبنائي، وهي تتحدث ولها تقريبًا عشرين سنة تعمل هنا، فتقول أنا اشتريت شقة كبيرة وأثثتها، وشقة أخرى تحتها، فتقول إن الشقة بالنسبة لهم مثل البيت، فكأنها اشترت بيتين، فتقول كل الذي جمعته من عملي اشتريت به الشقتين، شقة لي ولأبنائي والشقة الأخرى - ليست استثمار كما نفكّر نحن - مدرسة قرآن، لأني أريد أن أعمل مدرسة قرآن بعد أن أتقاعد، وهي مدرسة رياضيات، لأن لا شيء سيُصلِح هذا الجيل كأن تبقى قلوبهم معلّقة بالقرآن، وكانت تقول أنتم في نعمة لأن لديكم مدارس تحفيظ القرآن، فنحن في مصر لا يوجد لدينا،

وهذا الحديث كان في أوائل التسعينات، فتخيلوا كم كانت تفكّر بالقرآن، وهذا مثال عن كيف للمرء أن يفكّر في دوره للإصلاح، فالإصلاح لا يأتي بجهد واحد بل بجهود مكثفة متكاتفة، فلو عُدنا للطفل الذي تحدثنا عنه منذ قليل، نرى أهمية الإصلاح في سن مبكّرة قبل الشباب، في الثانوي في الابتدائي وسن المراهقة، فهل يُعقل أن نرى فتاة كبيرة تتخذ مشاعرها طريقة نقاش! فكل ما نبذله من جهود للأطفال في سن مبكرة يكون إنقاذا للجيل، ولذلك من الجهود التي ممكن أن نبذلها أن نفتح مشروع روضة أو دروسا للقاعدة النورانية أو القاعدة البغدادية ولو مرة في الأسبوع لأبنائنا وأبناء الجيران، أو نعطيهم دروسا عن القدوات، فمتى آخر مرة سألت طفلا أو مراهقا من قدوتك وقال خالد بن الوليد؟ أو عمرو بن العاص أو سعد بن معاذ؟ هل يعرفهم أصلًا؟ ومن سيصف لك لاعب كرة حين تسأله هذا السؤال؟ ومن من الفتيات ستقول فروزن أو أليسا وغيرها من شخصيات دزني؟

وهذا في سن الرابعة والخامسة وقد تكبر معهم إلى السادسة وتكبر وقدوتها أبطال اليوتيوب، فهل هذا أمر طبيعي من الأمهات؟ هل هذه مرحلة عمرية فقط؟ لا، كما نقول وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه، فهي التربية والنشأة وتعتمد على الشيء الذي يُغرَس من البدايات،

فأحد العلماء أتاه أحدهم بطفل في الثالثة من عمره وقال له: **جئتك بابني لتربيه، قال: كم عمره؟ قال: ثلاث سنوات، قال: قد فات! أكلما صاح أرضعته وكلما طلب أعطيته؟ قال: نعم، قال: أفسدته، يعني خلاص انتهى!**

فمن المهم وجود حِلَق يتعلمون فيها القدوات والقصص التي تربيهم، ونحن لا نلوم الأطفال لأنهم لم يسمعوا شيئا آخر، فلا يوجد لدينا متخصصون في الجرافيك والتصميم وصناعة الأفلام والمحتوى، فهؤلاء يمكنهم أن يخدموا الدين بإنتاج محتوى يُبرز القدوات بصورة أجمل ولغة معاصرة، ولهذا يجب علينا أن نتميّز في تخصصاتنا ونخدم بها الدين، لأن إصلاح الدنيا يجب أن يكون موازيًا لإصلاح الدين ولا ينقطع أحدها عن الآخر.

وعندما نتحدث عن إصلاح البيوت، وصلاحنا في بيوتنا، والمنكرات التي تحصل أمام المرأى وأمام العين، إحدى الفتيات كانت تتحدث مرة وتقول: **"لا تسأليني عن العيد، كان جميع الحاضرين من الفتيات يرتدون ملابس قصيرة لمنتصف الفخذ بل وأعلى!"**

فهل يجوز لك الجلوس في مجلس كهذا؟ لا طبعًا، إذا لم تستطع إنكار المنكر وهؤلاء الناس لم يخجلوا ويغطوا أنفسهم فلا يجوز لك الجلوس معهم فهذه عورة مغلظة! ولا يجوز النظر إليها ولا الجلوس معهم، وهذ منكرات يجب أن لا يكون دورنا فيها صامتا، بالوعظ وبالحسنى وبأي شيء نملكه، لأن مجرد السكوت الآن سيؤدي إلى تغيّر الأوضاع مستقبلًا فحين تأتي إحداهن بتنورة طويلة يتم الإنكار عليها، وهذا حصل! إحدى البنات كانت تشتكي دائمًا من لباس النساء في النادي الرياضي، وكانت تُنكر عليهم ولا أحد يستمع لها، وهي ترتدي ملابس طويلة حتى الركبة، ثم وصل الموضوع لأن أصبحوا ينكرون عليها لباسها الساتر وأنه غير مناسب للرياضية وقد يعلق بالأجهزة! فعندما يتمرّن الرجل بملابس واسعة يكون الأمر طبيعيا ولكنه غير مناسب للنساء!

ولهذا إذا لم يُنكِر الإنسان المنكر سيُنكَر عليه في زمن لاحق، لأن المعروف إذا لم يبقَ معروفًا والمنكر إذا لم يُعرَف أنه منكر وانتشر في الناس سيظن الناس أن هذا هو المعروف وأي شخص يخالف يكون هو الخطأ!

وهذا ما حصل مع لوط - عليه السلام -، قال تعالى:﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾(النمل:٥٦). فهل هناك أناس عاقلون يُخرجون إنسانا لأنه نظيف؟!

أكثر ما قد يفعلونه هو أن يتركوه في حاله، ولكن أن يصل الموضوع لأن يخرجوهم لأنهم يتطهرون! أصبح الطهر جريمة! فإذا سكَتَّ عن المنكر حتى يصبح كأنه هو المعروف فلا تسأل بعدها عن إنكار المعروف! ولهذا فمن المهم أن يقوم الناس بدورهم، قال تعالى:﴿**... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ...**﴾(الأنفال: ١).

أود أن أختم بمن جدد لهذه الأمة دينها في هذا العصر، كنا في زمن تطوف النساء والرجال فيه على القبور والأضرحة يطلبون من الميت في القبر أن ينجيهم أو يفرج كربهم!

ثم يأتي بعد ذلك فتيات لم يتزوجن يذهبن إلى فحل من فحول النخيل في منفوحة، منطقة معروفة، فيذهبون لمنفوحة ويتمسحون في هذه النخلة ويقولون: يا فحل الفحول أعطني رجلًا قبل الحول!

وكانت الرجال والنساء عندهم كبش في نجد في الجنوب يذهبون له، فيذهبون لهذا الخروف فيتبركون فيه ويطلبون منه النجدة وأن يكشف كروبهم، فهل تتخيلون لأي درجة وصل هؤلاء الناس؟

أصبحنا من قريش ومثلها، اندرس الدين الذي كان في عهد النبي - عليه الصلاة والسلام - وبعده عهد الصحابة، فوصلنا إلى فقر وجهل لدرجة أن الناس لم يعودوا يصومون رمضان ولا يصلّون، وأصبح الشيّاب هم الذين يصلون ويقرؤون القرآن قليلًا،

ويأتي هذا الإنسان ويتعلم العلم ويسافر من هنا إلى البصرة إلى الزبير إلى العراق يدرس على شيوخ الشيخ الذي تعلّم منه علم الحديث وغيره، فكان شيخه يقول إذا قام من مكانه: يا كعبة الله، وهذا وهو الشيخ الذي يدرسه!

فيأتي الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأنار عليه قبره بفطرة نظيفة فيقول له: **يا شيخ هل ممكن أن تسمّع لي قرآنا؟ وكان لا زال شابًّا، فيقول: نعم، إذا ذهب الطلاب أسمّع لك القرآن، فيأتي الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيقرأ سورة قريش ويقول:(فليعبدوا هذا البيت)! فيقول الشيخ: لا يا محمد، ربّ هذا البيت (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ)(قريش:٣)، فيعيد: (فليعبدوا هذا البيت)، فيقول الشيخ: لا يا محمد، ربّ هذا البيت (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ)(قريش:٣)، فيقول: عفوًا يا شيخ، إنما تأثرت بك!** ي

ريد أن يعطيه درسا، أننا لا نعبد هذا البيت، يا كعبة الله، فكيف نستنجد بالكعبة وهي حجر!

وفي حادثة أخرى حصلت في مسجد المدينة يحكيها عنه الشيخ محمد حياة سندي، وهو من المشايخ الذين تأثر بهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فكانوا جالسين في المدينة مشايخ علم وعقيدتهم صحيحة والشيخ محمد بن عبدالوهاب يطلب العلم من الشيخ محمد حياة سندي فيطوف الناس على قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ويتمسحون به ويدعون النبي - عليه الصلاة والسلام - مع أنه هو الذي قال: **لا تتخذوا قبري عيدا**، فمات النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو يحذر أشد التحذير ألا تتخذوا قبري عيدًا، فانحرف المسلمين وأصبحوا يطوفون على القبر كما يطوفون على الكعبة، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يشاهدهم فيسأل شيخه: **هل يجوز ما يفعلونه**؟ فيقول: **لا، ولكن من يستطيع تعليمهم**، فوقعت هذه الكلمة في نفس الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقرر ألا يكون من الناس التي ترى المنكر ولا تفعل شيئًا،

فبدأ دعوته صادقًا وبنية الصدق، فسخَّر الله له ابن سعود إلى آخر القصة المعروفة، وصلَّى الناس وصاموا رمضان وتركوا الشرك وعبادة القبور والأضرحة،

كذلك كنَّا قبل مئة أو مئتين عام حتى منَّ الله علينا بمن يُصلِح وأصلح حالنا، وإن لم نشكُر النعمة والخير والصلاح الذي نحن بِه فستذهب عنَّا هذه النعم، وقد كان الشيخ مُرَبِّيا،

يحكي الدكتور محمد الشويعر عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه كان مع طلابه فحدثت جلبة، يعني صوت ضجيج، فأراد الشيخ أن يستثمر الموقف فقال لهم وهم طلاب من البدو والأعراب، فقال: هل سمعتم الضجيج والجلبة والصراخ؟ قالوا نعم، قال: فمالذي حدث؟ قالوا: لا نعلم، فقال: هل أنتم متأكدون؟ فبدؤوا يتشاورون وأنه قد يكون لص مجرم نزل على أعراض الناس، فلما جاء اليوم التالي سألهم الشيخ: هل عرفتم ماذا حصل؟ قالوا: لا، ولكن إن كان مجرم فيجب أن يأخذ العقوبة الرادعة، فقال الشيخ: أنا عرفت ما حصل، امرأة نذرت أن تذبح ديكًا للجن بأمر من الساحر إذا الساحر والجن شفوا ابنها، فلما قامت لتذبح الديك هرب في بيوت نجد، وكما نعرف بيوتهم في السابق متلاصقة، فبدؤوا يقفزون إلى بيوت الناس والناس تصرخ حتى أمسكوا بالديك وذبحوه، فضحك الطلاب لأنهم و جدوا السبب مضحك، فقال الشيخ: أما لو كانت عقوبة من عقوبات الدنيا وسرقوا مالًا أو نفسًا غضبتم، وحينما يُشرَك بالله - عز وجل - شركا أكبر يهون عليكم الأمر؟ وكانت هذه الحادثة سبب تأليف كتاب التوحيد المعروف والمشهور الذي كتب الله - عز وجل - له النشر في الآفاق،

فلابد من دراسة التوحيد، فكيف لو كنا نحن مكان طلابه؟ لكانت ردة فعلنا مقاربة لهم، والله - عز وجل - يقول:**(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)**(النساء:٤٨). فكيف يهون الشرك ويوضع في كفة واحدة مع المعصية، فلو لم يتحرَّك الشيخ ويُصلِح لبقينا في الظلمات إلى أن يأتي الله - عز وجل - فيسخِّر لنا، وقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: **"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" رواه أبو داود، وصححه الألباني.**

ولكن القضية ألّا ننتظر أحدًا يحمل شعار الإصلاح، القضية أنا وأنت ماذا يجب أن نفعل لنقوم بدورنا في بيوتنا وجمعاتنا وفي وظائفنا التي ائتمننا الله - عز وجل - عليها، أو حتى في أنفسنا في حماية هذا العقل وهذا القلب، ولذلك حينما نصوم يوم عاشوراء ونتذكر نجاة موسى - عليه السلام - فلنتذكر أن الله - عز وجل - يقول:**(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)**(هود:١١٧).

لا ينفعك صلاحك الذاتي وإنما أنجى الله - عز وجل - موسى وقومه والأنبياء والذين آمنوا معهم بأنهم لم يكونوا سلبيين متفرجين وإنما كانوا مصلحين، ولذلك كانت تنزل العقوبات على أمم النبي ومن آمن معه، وهذه هي سنة الله - عز وجل - في كونه.

وبما أن عاشوراء هذا العام يصادف يوم الخميس، فنستطيع تحقيق سبع سنن حين نصوم من اليوم التاسع الأربعاء وحتى اليوم الخامس عشر:

١- عبودية سنّة سرد الصيام لأنك صمت ٧ أيام متتالية، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يصوم حتى لا يُفطر ويفطر حتى لا يصوم.

٢- الصيام في شهر الله المحرّم وهو من أحب أنواع الصيام لله - عز وجل - بعد رمضان.

٣- سنّة صيام عاشوراء.

٤- سنّة صيام يوم قبل عاشوراء.

٥- سنّة صيام يوم بعد عاشوراء

٦- سنّة صيام الاثنين والخميس.

٧- سنّة صيام ثلاثة أيام من الشهر.

## وهذه فرصة ذهبية يجب ألّا نفرّط فيها،

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصالحين المصلحين وأن يجعلنا هادين مهديين وأن يغفر ذنوبنا ويستر علينا ويعاملنا بما هو أهل له ولا يعاملنا بما نحن أهل له، والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

**تنويه:** مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدّة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخل بروح المحاضرة ومعانيها